«من قضايا الأدب الإسلامي» للدكتور وليد قصاب

تأليف: د . وليد قصاب
عرض: د . حسين علي محمد

يبحث هذا الكتاب في ماهية الأدب الإسلامي وقضاياه، ويُعرفه من حيث كونه مصطلحاً متداولاً، ويُفند مزاعم الذين يدعون إلى فصل الدين عن الأدب، ويؤكد أن الالتزام الخلقي والوسطية في السلوك في الحياة هما الأصل، وأن الشذوذ والتمرد على القيم هو الطارئ الذي سرعان ما يزهق. ويؤكد في المقدمة على أن «الدعوة إلى أدب إسلامي ليست من باب المستحسن أو المندوب فحسب، بل هي من باب الضرورة القصوى، والحاجة العظيمة الماسة؛ إنها دعوة لمصلحة الإنسان وقيمه وفطرته، وهي لمصلحة الآداب الإنسانية جميعاً؛ إذ هي مرفأ النجاة لآداب سقطت في حمأة الرذيلة والفحش والإلحاد، وابتعدت عن تصوير فطرة الإنسان السليمة، وراحت تُنادي بأن يكون للأدب أي وظيفة إلا وظيفة الإصلاح والتهذيب والدعوة إلى مكارم الأخلاق»[1].

والأدب الإسلامي - كما يشير المؤلف - في صدر مقدمته هو «التعبير الفني الهادف، عن تجربة شعورية تصدر عن التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة»[2]، وبما أنه كذلك فقد لقي من صنوف التأييد وبعض المعارضة ما جعل هذا الأدب ينال اهتماماً كبيراً في دائرتي الأدب والثقافة، في البلاد العربية والإسلامية، وهذا ما دفع المؤلف -الدكتور وليد قصاب- إلى تناول عدد من قضايا الأدب بين دفتي هذا الكتاب الذي يقع في مائتين وثماني صفحات من القطع المتوسط.

ونحن لن نعرض لكل القضايا التي تناولها هذا الكتاب، وإنما سنشير إلى عدد محدود من القضايا التي اجتهد المؤلف في إثارتها، ونرى أنه احتشد لها وقدّم فيها ما هو جدير بالتنبه إليه من أصحاب الأدب الإسلامي، ورافضيه.

لا يجوز الغض من قيمة الشكل لحساب المضمون

يتهم بعضُ نقاد الحداثة الأدب الإسلامي بأنه يغض من قيمة الشكل لحساب المضمون، وأنه يهتم بالفكر والمعاني ولا يهتم بجماليّات النص، وأن الفكرة تستحوذ على صاحبه، فلا تبقي لديه مجالاً للاهتمام بجمال الشكل!

وقد تناول المؤلف في الفصل الثالث أبرز تجليات الفن في الأدب الإسلامي، من حيث الشكل والمضمون، مذكّراً دارسي الأدب الإسلامي ومحبيه وكتابه أنه لا يجوز التساهل في الغض من قيمة الشكل لحساب المضمون، وأنه لا ينبغي التعصب لفن أدبي معين، ولا لشكل فني معين من دون آخر، «ذلك أن الأشكال الفنية هي أوعية للأفكار والمضامين، ومن ثم هي:

١-محايدة إلى حد كبير.
٢-من الأمور المتطورة المتغيرة.
٣-مرتبطة بالذوق العام والخاص.
٤-مرتبطة بشخصية المبدع»[3].

الشعر الإسلامي: الرؤية والفن

قد يتصور بعض الناس أن الأدب الإسلامي هو تلك القصائد التي تتكلم عن رمضان أو الحج، أو تُعلي من بعض القيم: كالحق والصدق والأمانة والعدل بصورة

مُباشرة، ومن ثم كانت أهمية الفصل الخامس، الذي جاء بعنوان «الشعر الإسلامي الحديث: ملامح عامة في الرؤية والفن» الذي تناول فيه المؤلفُ الشعرَ الإسلامي الحديث، منطلقاً من قناعة فنية ترى أن «الشعر الإسلامي الحديث امتداد طبيعي للشعر الإسلامي الذي ولد مع بدء الدعوة ... وأن شعراء الإسلام اليوم هم أحفاد حسّان وابن رواحة وكعب بن مالك، وشعراء الجهاد والدعوة والفتوحات الإسلامية وفئات الشعراء الآخرين الذين عرفهم تراثنا الأدبي ممن تشبعوا بروح الإسلام واغترفوا من ينابيعه الصادقة»(٤).

ويرى المؤلف أن «شعراء الإسلام ليسوا سواء، ولا نسخاً مكرورة بعضهم من بعض، بل هم اتجاهات وأشربة وأذواق متنوعة، ولكل منهم معجمه اللغوي، وأسلوبه الخاص ونكهته المميزة، يجمع بينهم صدورهم عن نبع العقيدة الإسلامية الثر، ولكنهم يتفرّقون بعد ذلك في منهج هذا الصدور، وموضوعاته وأدواته»(٥).

ويرى أن الشعر الإسلامي هو شعر النص لا شعر الشخص، ولذلك فهو موجود أو يُمكن أن يوجد عند كل شاعر مسلم، بدرجات تتفاوت من واحد إلى آخر بحسب قوة هذه العقيدة في نفسه، ودرجة صفائها ووضوحها»(٦).

ولا ينسى الباحث أن يُشير إلى أن الشعر الإسلامي في العصر الحديث قد سجل حضوره الباهر في قضايا الأمة ومآسيها، وأنه وقف دائماً في قلب الحدث: راصداً، ومحللا ومسجلا. و«قد بدأ هذا الحضور مبكراً، وسبق الشعر فيه جميع أجناس الأدب الأخرى»(٧).

حضور النثر الإسلامي

قد يتصور بعض الناس أن الأدب الإسلامي هو أدب المنظوم فقط، ولذا يؤكد المؤلف في الفصل الرابع على حضور النثر الإسلامي الفني وتميزه على مساحة واسعة من خارطة الإبداع، وخصوصاً القصة التي يرى أنها عظيمة الخطر، بالغة التأثير. وكم يتمنى على القصة الإسلامية أن تكون «بديلاً عن تلك القصص المنحرفة التي أفسدت البلاد والعباد»(٨).

ويرى المؤلف أن فن القص في الأدب الإسلامي «يستلهم قيم الإسلام، فيقدم عملاً فنيا يجمع بين المتعة والفائدة، بين التشويق والتعليم، بين الإقناع والإصلاح، وهو لذلك يُسهم في تزكية النفس الإنسانية، وبناء الإنسان السوي الذي يعمر الأرض، ويُقيم شرع الله فيها»(٩).

النقد الإسلامي

يطلب المؤلف من نقاد الأدب الإسلامي أن يركزوا في تناولهم للأعمال المنقودة على المضمون والشكل، وينبغي أن يبذل الناقد جهده في ذلك. يقول: «إن المقاربة النقدية لأي نص أدبي ينبغي أن تكون مُقاربة جمالية وفكرية؛ أي تركز على الشكل والمضمون، على الأداة والرؤية»(١٠).

إن الأدب الإسلامي ليس أدباً مبتدعاً، وإنما هو الأدب الذي يعبر في صدق وجمال عن الأمة، وقد أثار المؤلف في هذا الكتاب العديد من قضايا الأدب الإسلامي، وقد توقفنا عند بعضها، ونرى أنه يضيف إلى مكتبة النقد الإسلامي، ويُثريها، ويسدُّ ثغرةً فيها بمناقشة الكثير من القضايا التي تموج في الساحة الأدبية والثقافية حول هذا الأدب■

الهوامش:

(١) د. وليد قصاب: من قضايا الأدب الإسلامي، ط١، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨م، ص١٣.
(٢) السابق، ص٧.
(٣) السابق، ص٩٣.
(٤) السابق، ص١٠٩.
(٥) السابق، ص ١١١.
(٦) السابق، ص ١١١، ١١٢.
(٧) السابق، ص١١٢.
(٨) السابق، ص ١٠٨.
(٩) السابق، ص ١٠٨.
(١٠) السابق، ص ١٤٧.